http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1900) السنة الثامنة - الاحد (5) ايلول 2010

الـــرجـــل وقـــطـــتـــه×

(قصة سينمائية - سيناريو)

محمد سعيد الصكار

mohammed_saggar@yahoo.fr

اعتاد الرجل المهاجر أن يترك مفتاح شقته لدى جارته المهاجرة مثله لترتّب الشقة الصغيرة وتُعنى بقطته، وربما أعدّتْ له وجبة العشاء.
هذا اليوم لم يطرق بابها ولم يعطها المفتاح.
مرت ساعة وساعتان ولم يمرّ بها. استبطأته، فجاءت تطرق الباب فلم يجب. فكرت أنه ربما سهر طويلا وهو مستغرق الآن في النوم؛ وراحت تتذكر أيام الأسبوع؛ هذا اليوم يوم عمل وليس يوم عطلة. عادت بعد ساعة تطرق الباب، بلا جدوى. بدأت هواجسها تستيقظ؛ لم يكن من عادته أن يتأخر عن الدوام، وهو أصلاً ليس ممن يولعون بالسهرات؛ وحتى لو كان سهران فالقطة ستوقظه طلباً لوجبتها الصباحية.
بعد الظهر ازدحمت الشقة الصغيرة برجال الشرطة ورجال الاسعاف، وكثر اللغط والمناقشات خارج الشقة بين الموجودين الذين أخذتهم الحيرة مما يرون؛ فقد كان الرجل يحتضن قطته بطريقة طبيعية جداً، كما لو كان يداعبها فأغفيا معاً؛ وبدا أنه لم يمرّ على موتهما سوى ساعات قليلة. ورغم مرور وقت غير قليل على بحث رجال الشرطة والأطبّاء وتشاورهم لم يفلحوا بتفسير ما يرون، كما لم يفلحوا باتخاذ قرار بشأن جثة الرجل وقطته المستريحة على ذراعه.
صوّروا المكان، قاسوا المسافات، خططوا بالطباشير موضعهما، سألوا الجارة ومن احتشد عند الباب من الجيران فلم يفلحوا بتفسر مقنع، وبقي واحدهم يتطلع إلى الآخر بحيرة، ولم يتوصلوا إلى قرار، مع أن لكل من الشرطة والأطباء تقديراته الضبابية.
الافتراض الأول لدى الشرطة كان يقوم على أن تسمماً أودى بحياتهما، وهذا ما حمل الضابط على أن يطلب من رجال الإسعاف نقلهما لكي يشرّحوا الجثتين ويبحثوا عن طبيعة التسمّم، ولكن الطبيب أعلن فوراً أنه لا يستطيع تشريح جثة القطة لأنه ليس ببيطري، ولذلك عليهم أن يحملوها إلى المستشفى البيطري للتصرّف بها. ولكن الضابط، وقد تفرّعت هواجسه، طرح افتراضاً اخر، هو إمكان أن تكون هناك جريمة، فلم يقبل تفريق الجثتين إلى مستشفيين، لأن ذلك سيعقد التحريات.
قالت المرأة إنه من المستبعد أن تكون هناك جريمة، فالرجل في غاية الوداعة والاستقامة. أخرسها الضابط بإشارة فجّة من يده، وقال: هذا شغلنا؛ من طلب منك الكلام؟! وأصرّ على أن يجري التشريح في مستشفى واحد، وأشار إلى الطبيب أن يحملهما معاً، ولكن الطبيب رفض؛ قال إنه يتصرف ضمن اختصاصه، واختصاصه أن يشرّح البشر لا القطط.
كان منظر الرجل وقطته مثيراً للشفقة، فقد كانت قطته نائمة بوداعة على ذراعه، وإذ لم يمضِ وقت طويل على مغادرتهما الحياة كانا يبدوان وكأنهما مستغرقان في النوم.
في هذه الأثناء كان الخبر قد تسرّب إلى خارج الشقة، ووصل إلى أفراد جالية الرجل المهاجر، فجاء منهم جماعة من معارفه من بينهم مسؤول الجالية الذي زاحم رجال الشرطة عند الباب وأفلح في الدخول إلى الشقة والمشاركة في النقاش؛ وقد رفض بشكل قاطع إجراء التشريح لجثة الرجل، أما القطة فليعملوا بها ما يشاؤون، فاعتبر رأيه هذا ضرباً من الهراء، لأن جميع الجثث في هذا البلد تُشرّح ما لم تكن هناك وصيّة موثّقة ومسجلة رسميا من قبل المتوفى بعدم إجراء التشريح؛ وفي هذه الحالة ينبغي أن تنقل جثته إلى بلده وعلى نفقته. أوضح الضابط ذلك بشيء من الغلظة والعجلة المشوبة بالاستخفاف جعل رئيس الجالية يقتنع بأن لا جدوى من المناقشة، فانسحب إلى خارج الحشد وأدار رقماً على تلفونه المحمول وتكلم بنبرة من الاحتجاج، وحثّ المخاطب على أن يقوم بدوره الذي من أجله انتخب رئيساً للجنة حقوق الانسان في هذا البلد؛ وكرر احتجاجه هذا على القنصل الذي سارع بالمجيء إلى المكان.
خارج الشقة ازداد الحشد وتعددت وجوه النظر إلى الموضوع وبدأ النقاش يأخذ مأخذ الجد ولا يخلو من حدّة؛ بين مؤيد لموقف الشرطة ومؤيد لحق رئيس الجالية، في حين أثار موقف الطبيب قضية لم تكن في رأي البعض ذات أهمية كبيرة، وهي قضية القطة؛ فقد رأت إحدى السيدات المسنّات أنه لا ينبغي الاستخفاف بالقطة والعبث بجثتها، ورأت أن من واجبها، باعتبارها من رابطة حقوق الحيوان، أن تبلغ الرابطة بهذا الموضوع حفاظاً على حقوق القطة؛ وفعلت ذلك فأشارت عليها رئيسة الرابطة بتسجيل الواقعة وترك الموضوع يأخذ سياقه الإعتيادي.
استغرق الكثير منهم في البحث عن تفسير لهذه العلاقة، وهذا المصير المشترك الغريب بين الرجل وقطته؛ وانتقل الحوار إلى البيوت؛ ودار في فكر البعض منهم أن الرجل محظوظ بالانفراد بهذا الموت الغريب الشبيه باللغز، في حين عدّها بعضهم من المعجزات، وأنها جديرة بالتأمل والاعتبار.
ظهرت صحف المساء وعلى صفحتها الأولى صورة الرجل وقطته، مع استعراض مثير للفضول لآراء الناس والجهات المعنية؛ في حين مرت نشرات التلفزيون بشكل عابر على الموضوع، ولكن بعض الإذاعات المحلية أغرقت بتفاصيله ومضاعفاته، ولا سيما إذاعة صوت المهاجرين التي ركزت على حق الرجل بعدم التشريح، وإذ كانت على علم بقوانين البلد في عدم تسليم أية جثة بشرية بدون تشريح، دعت الناس إلى التعاون على توفير مبلغ من المال لنقل جثة الرجل إلى بلده، مما أثار الشرطة، واعتبرته تدخلاً في اختصاصها، إذ كيف يتأتى للإذاعة أن تعرف ما إذا كانت هناك جريمة أم لا.
قالت الجارة: إن الرجل كان يشتري لقطته أفضل الطعام، كانت مصدر أنسه الوحيد، وكان يحنو عليها كثيراً.
قال الصحفي: يعني أن الطعام لم يكن فاسداً.
قالت: أبداً، أنا متأكدة من ذلك.
قال: وأي طعام كان ذلك؟ أعني ما اسمه، ما علامته؟
قالت: لا أدري، فهو يجلبه يومياً من القصاب.
قال: إذن لم يكن معلباً.
أحسّت الجارة أن معلوماتها صارت مهمة، وأن عليها أن تكون رصينة ودقيقة.
قالت: أبداً، أنا كنت أساعده أحياناً في تقطيع اللحم.
قال الصحفي: هل تعرفين أين دكان القصاب؟
قالت: طبعاً، هو في بداية السوق.
قال: شكراً؛ وغادرها.
أحس ضابط الشرطة بالخيبة والإحباط عندما وصلته الأوامر بنقل الجثتين إلى المستشفى وتجميدهما دون تشريح بانتظار أوامر أخرى. كان يريد أن يجعل من التحقيق في هذه الحالة الغريبة رصيداً مهنياً يعزز وضعه المسلكي؛ كان يريده ضربته الحاسمة الأخيرة قبل أن يحال على التقاعد؛ ولكن آه من تصرفات الكبار الذين يبدون أحياناً صغاراً، صغاراً جداً! ولكنه رغم مرارته كان يُعدّ إجابات محكمة لا تخلو من فانتازيا لأسئلة مفترضة سيلقيها عليه الصحفيون كما جرت العادة.
وفي الواقع، كان كل المعنيين يفكرون في تلك الإجابات المسبّقة؛ الطبيب والشرطة والجيران والكبار؛ كلهم جهزوا إجاباتهم، وملابسهم التي سيظهرون بها أمام وسائل الإعلام.
في بلد الرجل أخذت الأمور مساقات مختلفة، ففي حين تجمّع حشد من الناس أمام سفارة البلد الذي مات فيه الرجل، وطالبوا السفارة بالإسراع في إعادة الجثة لتدفن في موطنها، كان بعض الناس يثير حمية الميسورين للمساهمة في تخصيص أرض وبناء ضريح له يكون مزاراً للمؤمنين بخوارق الأقدار. ولم يكن إقناع الميسورين يتطلب جهداً كبيراً، فقد تسابق العديد منهم بالتبرع بقطعة من الأرض، وساهم الآخرون بسخاء في تغطية نفقات نقل الجثة.
– الرجل جدير بهذا التقدير، هذا ما لا شك فيه.
– هذا ما لا خلاف عليه، ولكن المسألة شائكة وذات أبعاد.
– كل مسألة لها أبعاد، والإغراق في التفاصيل يميّع الدلالة، وعلينا أن نأخذ ما هو حاصل.
– فعلاً؛ ينبغي التعامل مع ما هو حاصل.
– الحاصل ذو وجهين؛ الرجل والقطة؛ ولذلك يجب التعامل مع الطرفين معاً، ولا ينبغي النظر إلى طرف واحد وإهمال الطرف الآخر، وهو القطة؛ وارتباطهما معاً هو جوهر القضية؛ فلو مات الرجل وحده، أو ماتت القطة وحدها، لما كان هناك شيء غريب، كل المخلوقات تموت، ولكن موتهما معاً على تلك الهيأة الخارقة للمألوف، هو الأساس، ولذلك لابد من التعامل مع طرفي المعادلة دون تفريق.
– ولكن كيف تعامل القطة بهذا التكريم أسوة بالرجل؟
– فعلاً كيف؟ وأنت ترى أن القطة ليست من الحيوانات المحبوبة عندنا، وهناك آلاف القطط السائبة في الشوارع، ورجال البلدية تطاردها وتتخلص منها بطريقة مؤلمة.
– ثم كيف يسوّغ الناس لأنفسهم أن يقرنوا رجلاً بقطة، ويسبغون عليهما معاً الدعاء والبركات، ويلوذون بأذيالهما؟!
هذا الإشكال أثار كثيراً من القضايا التي لم تكن ظاهرة على السطح. منها أن بعض المفكرين دعا إلى إعادة النظر في العادات والتقاليد السائدة في البلد، وصرف النظر عن التعامل الخاص مع هذه الحالة. وتحدث آخر معززاً رأي الأول، وداعياً إلى مراجعة البرامج التربوية للمجتمع، وتنشئة جيل على أساس عقلاني.
وقد أثار هذان الكاتبان غضباً لا يوصف من الجمهور؛ حتى الصحفيون والكتاب الذين كان يُنظر إليهم كمتنورين وموضوعيين، ثارت ثائرتهم، ودبّجوا الكثير من الردود اللاذعة على هذين الكاتبين اللذين آثرا السلامة وتركا الموضوع ولم يعاودا مناقشته ثانية، فأية صيغة للتفاهم يمكن أن تقوم بينهما وبين من كان معدوداً من المتنوّرين الذين انقلبوا بهاجس الإعتداد بالتقاليد والشعائر المحلية والإنسياق إلى منطق البسطاء والجهلة، وتغليب الحماس الجماهيري الفارغ على النظرة العقلانية الضرورية في مثل هذه الأمور.
انتقل تفرّع الأحداث إلى ثلاثة أطراف؛ طرف يتعلق بالتقاليد والأعراف الاجتماعية التي لا تسمح باقتران مصير الرجل بحيوان، وإضفاء قداسة عليهما معاً؛ وطرف يهمه النظر إلى الظاهرة واعتبارها من الظواهر الخارقة وما يترتب عليها من إجراءات روحية تجمع الرجل بقطته في ضريح واحد باعتبارها من خوارق الطبيعة التي ينبغي احترامها؛ وطرف ثالث انبثق من مجلس الشعب الذي نظر إلى إمكانية تأزم العلاقة مع البلد المضيّف نظراً إلى العلاقة الرسمية بين بلد المهاجر والبلد المضيّف، وما يترتب عليها من مآزق سياسية ودبلوماسية واقتصادية وثقافية قد تقود إلى إشكالات غير محسوبة؛ فالبلد مرتبط مع البلد المضيّف باتفاقيات مختلفة؛ واستثمارات في مجالات متعددة لا يمكن أن يُغضّ النظر عنها من أجل قطة.
مثلما تجمّعتْ جماهير المغتربين للاحتجاج أمام وزارة خارجية البلد المضيّف، تجمّعتْ حشود كبيرة أمام قنصلية البلد المضيّف في بلد الرجل. وفي حين كانت الجموع أمام القنصلية تعلن توجيهاتها بمكبرات الصوت، وتحرق إطارات السيارات وتقرع الطبول وتهتز على إيقاعها، كانت جموع أخرى أمام وزارة الخارجية في البلد المضيّف، تروح وتجيء وتوزّع المنشورات والبالونات الملونة، وترفع اللافتات الورقية المنددة بسياسته العنصرية وتجمع التواقيع، وتقذف بقناني البيرة الفارغة إلى الأرصفة، وتدلي بالتصريحات لوسائل الإعلام.

× يعكف الكاتب على إعداد سيناريو وحوار لهذه القصة.

بمناسبة رحيله.. دواد سلوم باحث أكاديمي رصين اخطأته الحظوظ

شكيب كاظم

ظهر يوم الجمعة الثالث عشر من شهر آب ٢٠١٠، نُعيّ الاستاذ الدكتور داود سلوم الاستاذ الجامعي والاديب الكاتب، الذي كانت له صولات وجولات في عالم الكتابة والبحث الادبي وصنعة دواوين الشعر، اذ عُرف عن الباحثين العراقيين اهتمام واسع في البحث والتنقيب والتنقير في المخطوطات والمظان القديمة، بغية جمع اشعار من لم تسعفه ظروف الحياة وحظه العاثر من ان يخلف لنا ديوانا يرجع اليه الباحثون لذا شهد العقدان السابع والثامن من القرن العشرين اهتماما بصنعة دواوين لهؤلاء الشعراء ممن بقيت اشعارهم في بطون الكتب ومازال في الذاكرة جهد عبد الصاحب الدجيلي في جمع اشعار الشاعر المقاوِم: دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ودعبل تقرأ بالتثليث، صاحب المقولة المشهورة: لي خمسون عاما احمل خشبتي على كتفي ادور بها على من يصلبني فما اجد الذي صدر عام ١٩٦٢ عن مطبعة الاداب بالنجف. اقول: اهتم الاستاذ الدكتور داود سلوم بهذا الشأن فقدم للمكتبة العربية ثلاثة دواوين، لثلاثة من شعراء العصر الاموي من اصحاب المواقف السياسية والفكرية اي اصحاب رأي وهم: الكميت بن زيد الاسدي، نشره في مدينة النجف الاشرف عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ بثلاثة اجزاء وأعادت طبعه دار عالم الكتب في بيروت عام ١٩٩٧ وصدر باربعة اجزاء فضلا على ديوان الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري، نشر في بغداد عام ١٩٦٨، وديوان الشاعر الاسود نصيب بن رباح صدرت طبعته الاولى في بغداد عام ١٩٦٨ كذلك، ولقد آذاه اشد الاذى سطو احد الباحثين السوريين وهو الدكتور محمد نبيل طريفي، مستغلا سنوات الحصار الظالم الذي فرضه الاستكبار العالمي على الناس في العراق، وعيش العراقيين في عزلة عن العالم الخارجي اذ لا سفر ولا فضائيات ولا هاتف، ولا انترنت ولا بريد الكتروني فهذه عدت من المحرمات فاستغل هذا الباحث ظروف العراق هذه ليسطو على جهد الدكتور داود سلوم العلمي.
لقد تعرفت على كتابات الباحث الدكتور داود سلوم منذ بداية السبعينيات الماضيات وكنت اجد في بعضها شكوى من تصاريف الزمان، وشكوى من تلك الدراسات والمقالات التي تنام في ادراج محرري الصحف والمجلات، ومازالت في الذاكرة مقالته التي نشرها العدد الأول من مجلة (الثقافة) التي اصدرها استاذي الدكتور صلاح خالص بداية عام ١٩٧١، ولعل ذلك راجع الى علمية الأستاذ سلوم والى نأيه بنفسه عن ان يكون مسوقا لفكر سياسي ما، وطبلا اجوف للسياسيين، الذين كانوا ومازالوا يضيقون ذرعا بالعقل الرصين والقلم الشريف، الذي لا يقبل لنفسه ان يكون مزورا لوقائع الحياة والتأريخ.
كما امتاز الدكتور داود سلوم بقلم باشط، غير مجامل لذا دخل في مساجلات ومناوشات ومباكسات على لغة الاديب المصري وديع فلسطين، فهذه مقالته التي نشرها في جريدة (الثورة) عام ١٩٨٤، والتي وصف فيها الشعر الحر بالشعوبية، وكونه فاقدا هويته العربية وبانه سليل الثقافة الاوربية والغربية، ثم رأيه بشعر الدكتورة سعاد الصباح – وهي دكتورة بالاقتصاد وليست بالادب!!– وكون شعرها اكثر اهمية من كل الشعر العربي على مدى قرون من الزمن!! وثالثة وصفه لابي نواس بطاعون الثقافة العربية وتشكيكه في نسبه، مع ان ابا نواس عربي النسب صريحه وهذا ما تؤكده مصادر الادب ومراجعه.
كذلك نعيه لشعر الغزل العربي المعاصر وخاصة في العراق، ولم ينس ان يُعرِّج على الدكتورة سعاد الصباح ليستشهد بنماذج من شعرها الغزلي على انه يمثل الغزل الروحي العفيف بعيدا عن ضرورات الجسد، ولكن ما درى ان النموذج الذي ذكره كان يفيض اشتهاء وجنسا!! ومازلت احتفظ بين اوراقي بالعديد من مقالاته وها هي مقالته المعنونة (خرافة الشعر العذري) المنشورة على الصفحة الادبية لجريدة (العراق) في ١٣/ حزيران/ ١٩٨٦، وفيها يناقش اراء المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسنيون المتوفى في خريف عام ١٩٦٢، والذي زار العراق اواخر العهد العثماني بحثا عن قبر المتصوف ابي منصور الحسين بن الحلاج، يناقش آراء ماسنيون عن العلاقة بين الشعر العذري والافلاطونية التي تدعو الى العفة، على عكس اراء ابيقور الفيلسوف الذي كان يدعو الى الشهوات واللذائذ ولقد دخل جراء هذه الاراء في مناقشات ومجادلات مع: الدكتور حاتم الصكر وزاهر الجيزاني والدكتور بدر خان السندي وشكيب كاظم وغيرهم كثير، ومناقشات الدكتور داود سلوم تذكرني بمساجلات الدكتور طه حسين والدكاترة زكي مبارك، الذي يرفض وصفه بالدكتور كونه حاصلا على ثلاث شهادات دكتوراه الاولى من الجامعة المصرية عام ١٩٢٤ والثانية من السوربون بباريس عام ١٩٣١ والثالثة من جامعة فؤاد الاول (القاهرة فيما بعد) عام ١٩٣٧ وكاتب مصري ثالث صاحب قلم كأنه مدية هو ابو طالب زيان، كتب كثيرا من مساجلاته ومباكساته في مجلة (الاديب) اللبنانية.
في اواخر الثمانينيات ابتكر الباحث داوم سلوم لونا جميلا من الوان الكتابة النقدية، اذ كان يُخضِع نصا شعريا لقراءة نقدية، فيقدم قراءة اولى للنص الشعري، فيما تقوم الباحثة الناقدة ساجدة الحيالي بقراءة نقدية ثانية لهذا النص الشعري، ولقد نشر كثيرا من هذا اللون النقدي الذي اراه جديدا على الساحة الثقافية العراقية، ومازلت احتفظ بالعديد من قراءاته هذه، التي اسماها: قراءة النص مرتين، وبين يدي قراءة لنص شعري جميل لعروة بن اذينة ومطلعه:

ان التي زَعَمت فؤادك ملها – خُلِقَت هواك كما خُلِقت هوى لها

والقراءة النَقدية هذه منشورة في ثقافية جريدة (العراق) يوم الاثنين ٢١/ من آب/ ١٩٨٩ وبعد: فهناك الكثير من الباحثين والاكاديميين، تأخذهم مشاغل الحياة والبحث عن اللقب العلمي في الجامعة، ومهمات التدريس والقاء المحاضرات، عن المجال الذي خلقوا له واعني به: الكتابة والبحث، لذا يأتي نتاجهم قليلا اذا ما قيس بعمرهم البحثي والاكاديمي، ومن هؤلاء الباحث الرصين الاستاذ الدكتور داود سلوم – رحمه الله – فنتاجه المنشور قليل اذا ما قيس بعمره البحثي الذي يمتد الى خمسة عقود او ستة.

دوريـــــات

إضاءة المرحلة السبعينية في جديد (اللحظة الشعرية)

المدى الثقافي

صدر حديثا العدد ١٩ من (اللحظة الشعرية) المجلة الالكترونية التي يصدرها الشاعر العراقي فوزي كريم .. وتضمن العدد الجديد الذي حمل غلافه لوحة للفنان فؤاد ميرزا عددا من الموضوعات التي تهتم بالشعر.
تصدر العدد افتتاحية للشاعر جاء فيها: (عددٌ آخر غير مطمئن من أدائه. كانت بي رغبة لتكريس أكثر من جهد في إضاءة المرحلة السبعينية الخطيرة، التي امتدت مع سطوة حزب البعث في شخص صدام حسين حتى منتصف التسعينيات، منعكسة على الجيل الذي تطلع للنور فيها فدخل العتمة. وحاول مواجهة الإرث الستيني، المعزز للفردية، المشاكس للحياة المحيطة، بمشاكسة انصرفت إلى النص وحده، وبنزعة جماعية مذعورة من الانفراد بالنفس. لأن مشاكسة الحياة المحيطة، وبصوت فردي، بدت آنذاك أكثر من خطيرة. إلا أن الاستجابة لدعوتي للمشاركة كانت محدودة جداً.)

ومن مواد هذا العدد قصائد للشعراء خزعل الماجدي (دراما استنزال المطر)، خالد الناصري (المرجومة)، فوزي كريم (القصائد الأخيرة لعام ٢٠٠٩) ، ياسين طه حافظ(ما العمل؟).
في هذا العدد ثلاث قصائد عالمية طويلة: رماد غرامشي للمخرج السينمائي والشاعر والروائي الإيطالي الشهير بازوليني، وقصائد كارمينا بورانا التي اتسعت شهرتها في موسيقى الألماني كارل أورف، إلى جانب رسول السحب للشاعر الهندي القديم كاليداسا. القصائد ذات قيمة خاصة في الإرث الإنساني.

في رواية يعاد نشرها لـ(فرانسواز ساغان):

المـــال.. الحـمـايـة.. لـيـس كـل مـا تحـتـاجـه المـــرأة

ترجمة: عدوية الهلالي

في عام ١٩٧٤ ، كتبت الروائية الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساغان في جريدة الفيغارو تفسيرا لدعمها ترشيح فرانسوا ميتران للرئاسة الفرنسية قائلة بأنها واحدة من الشعب الفرنسي الذي أرهقته الفضائح المالية والإدارية.

وفي العام نفسه أيضاً ، أصدرت ساغان روايتها (الوجه المفقود) بعد مرور عشرين عاما على نشر روايتها الشهيرة (صباح الخير أيها الحزن) ...كانت ساغان في التاسعة والثلاثين من عمرها حين كتبت روايتها (الوجه المفقود) التي تناقش فيها المتاعب المالية في فرنسا في تلك الفترة مشيرة إلى إن المال يبقى مالا مهما سعى الإنسان له والأجدر بالأدب أن يعطي الأولوية للناس الذين يعملون بإخلاص وليس لأساليب الحصول على المال..
وتقول ساغان ان الراوية في روايتها تشبهها كثيرا وهي امرأة تجد نفسها أسيرة تحت حماية زوج ملياردير لم يعد ينتظر منها أي مقابل او تعويض عدا سعادته بوجودها قربه لافتتانه الشديد بها ..
وتبدا رواية (الوجه المفقود) عند نهاية قصة حب ربطت مابين الملياديرر الامريكي الجميل (آلان) وزوجته التي يشعر بغيرة شديدة عليها لدرجة تعيين حارس خاص لمراقبتها وحراستها في شقتها الباريسية .. وتعاني الزوجة من قلق وضيق شديدين بانتظار ان تتحرر من سجن الحب الذي وضعها فيه زوجها ..وذات يوم ،تلتقي رجلا في معرض فني يقدم نفسه لها على انه رجل أعمال ويعبر لها فورا عن وقوعه ضحية لسحرها وتعلقه بها ..ويمر أسبوع و(جوليوس) –وهو اسم الرجل –يجد في رمي شباكه على الزوج حتى أقنعها بقراره بانتشالها من معاناتها ..وهكذا ، تنجح الزوجة في الهرب من رجال حراسة الزوج ،وللمرة الأولى ، سيكون عليها ان تتحمل مسؤولية إدارة حياتها ..
جوليوس –من جهته – لم يتركها تعاني من متاعب الحياة فأراحها من همومها الجديدة حين وجد لها عملا باجر جيد في مجلة فنية واستأجر لها شقة فاخرة ..كانت تلاحظ إنفاقه المبالغ به عليها فتعتقد بأن عمله مربح من دون شك ..بالتدريج ، يساورها شعور بالذعر من تصرفات جوليوس الذي ابعدها عن سجن زوجها لكنه أوقعها تحت رحمة شكوك رافقت تصرفاته كلها ..وعلى الرغم من انه أبقاها بعيدة عن تهديدات زوجها ووضعها في مكان أمين لكنه بدا هو الآخر بحاجة إلى إيجاد مخبأ له، لذا قاد المرأة التي– اختار حمايتها من زوجها ونفسها –إلى جزيرة في الكاريبي ...
هناك ، تكتشف راوية القصة بان حبيبها وحاميها هارب من الضرائب المالية فتشعر بالإحباط وتؤلمها أكثر لامبالته واستهتاره وتهاونه في ما يخص إيجاد مخرج ليعيشا مستقبلهما معا باطمئنان ودون خوف ..
وتفكر المرأة الحائرة في مغادرته وبدء حياة خاصة بها رغم امتنانها له بسبب الحرية التي قدمها لها وإعفائها من التفكير في أي ضغط مادي أو اجتماعي، لكن شعورها بالحنق يضفي على سلوكها شيئا من الجدية بعد أن كانت تتصرف بمرح وجرأة أحياناً ..
ومثل كل بطلات ساغان ، تبدو البطلة متقلبة وذات تصرفات غير منطقية أحياناً لكنها قادرة على الاختيار في النهاية وبالتالي الابتعاد عن المكر والريبة التي يتصف بهما جوليوس لأجل ان تظل صادقة ومخلصة في حياتها ..
منحت ساغان روايتها تلك ببساطة رائعة في الأسلوب ونجحت في مناقشة تاثير المال على المجتمع ودور الدولة في ذلك إضافة إلى تركيزها على قضية انقياد النساء أحياناً لمن يوفر لهن الحماية والمال فقط دون التفكير في اختيار حياة خاصة بهن ..
يعاد طبع رواية (الوجه المفقود) للروائية فرانسواز ساغان في فرنسا للمرة الثالثة في هذا العام وستقوم دار نشر البان ميشيل بنشرها خلال الشهر المقبل ..

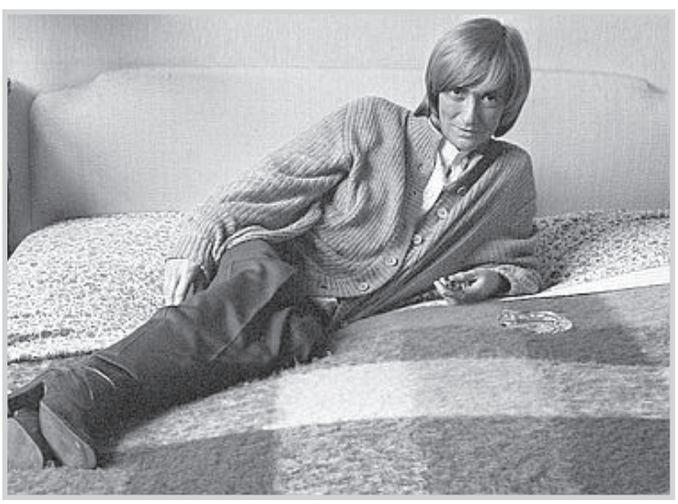

قـــنـــاديـــل

حداثيون من رعاة الخرافة

لطفية الدليمي

كتاب، شعراء، فنانون، أو هم ممن يحملون صفة المثقفين –هل هم مثقفون حقا؟؟– يتورطون في مقتبل القرن الحادي والعشرين بترويج الخرافة وتسويقها، يتعاملون معها كأنها حقيقة الوجود الوحيدة ومنها ينطلقون لقياس الأحداث وتبرير الأفعال مندفعين في العتمة ومتنصلين من سلطة العقل.
تتعالى نبرة الغيبيات والتوجهات اللاعقلانية عندنا فنجد بعض الكتاب، ممن كانوا يدعون العلمانية أو يقاربون مقولات الحداثة والتنوير، يتخذون من ترويج الخرافة طريقا لترسيخ سلطة الماضي والوهم ونفي العقل وتحريم السؤال ، هم ليسوا بالمرجئة ولا بالمعتزلة ولا هم بالمتصوفة او العرفانيين، بل هم من المتلجلجين بين العقل واللاعقل يتقاسمون الخرافة سلوكا وترويجا مع حشد ممن يقولون بقدرية ما يحدث للناس من ظلم وتقتيل وإبادة ، على أنه باب بلوغ الخلاص وظهور المخلصين ..يشترك مروجو الخرافة مع النزعة التدميرية لما بعد الحداثة التي ترفض التنوير و تدين العقل إدانة صادمة وتقف بوجه أية جهود لتحرير الإنسان عن طريق توظيف العلم والتقنية والعقل ،كلا الاتجاهين يسير نحو الهدف ذاته : إقصاء العقلاني والتنويري والخوض في فوضى غيبية او فوضى التشظي والتناثر في العماء : المولعون بالغيب يقصون العقل لصالح الخرافة، و المعنيون بما بعد الحداثة يقصونه لصالح التفلت من أي شكل من أشكال النظام للاستغراق في المجهولات وعشوائيتها..
يصنع البعض من الخرافة سبيلا لزج الجموع في الحظيرة الموصدة ، ويحشدونها في زاوية القدرية والتواكل، وهي جموع مجوّعة مفتقرة إلى الأمان تمتلئ قلوبها مرارة وجراحا منذ عقود، ويسوّق هؤلاء خرافاتهم في متون الصحف والخطب والكتيبات ، مبشرين –على نحو إنشائي وبلاغي – بالدولة الفاضلة ويوتوبيا المحرومين التي ستغرق غدهم بالنعم وتيسر لهم ما تشتهي أنفسهم من شبع ومتع، هذا الغد الذي لن يأتيهم قط محمولا على متن الخرافة، ولن يكون ثمة غد دون حاضر متسم بالعقلانية والنظرة العلمية للعالم ومجرياته ودون توظيف معطيات العلم ومنجزاته مع توفير الحد المعقول من كرامة العيش الإنساني ..
كتاب وشعراء، لا يجرؤون على طرح سؤال الحرية ولا سؤال العدالة ، فكلمة الحرية بعد أن جرى تشويهها – غدت مكبلة بأغلال التحريم من قبل من يدعون امتلاك الحقيقة، فلا حرية ولا عدالة حين يعطل القانون ويغيّب العقل ولا يجرؤون على طرح موضوعة التنوير والتغيير ، لأن قوى مهيمنة تتحكم بحيواتهم وأرزاقهم ..
كتاب كانوا من معارضي الديكتاتورية ومن المبشرين بالحريات، تنقلوا إلى خنادق الخرافة، واحتلوا الفراغ الحاصل من غياب مؤسسات مدنية راسخة ،كتاب وصحفيون يتبنون مواقف ضاغطة على الحريات والأفكار، ويروجون للدولة الشمولية بصيغة دينية او (سياسدينية) ينطقون باسم الطوائف التي لا ترى العالم إلا من زاوية واحدة وتسعى لإقامة نظام حكم متصلب لا يسمح بالاختلاف، ولا يقر التنوع، بل يفرض نمطا واحدا وثابتا للتعامل مع البشر، ومن يشذ عنه يعدّ مرتدا ويحق عليه الحد والقصاص من قبل أولئك الذين وضعوا أنفسهم في منزلة القانون، بل هم فوق كل قانون أو تعاليم سماوية مبشرة بالتسامح والعدل..
تكمن خطورة صانعي الخرافة من الكتاب والشعراء، في تسويقهم اللامع لها وترويجهم لها بأسماء وتوصيفات براقة ، مموهين على الروافع الحقيقية لتشكيل بنية الدولة الحديثة، معتمدين على عمليات تجهيل الجموع سابقا وحاضرا، ليدفعوا بها في الصراعات الهامشية، وتهييج مشاعرها البدائية إزاء مفهومات اجتماعية معينة كوضع المرأة في المجتمع، وعمل المرأة ومشروعية ظهورها واحتجابها ..
أي كاتب هذا الذي يخون فكرة التنوير ويؤول ما شاء من معطيات الموروث لمصادرة كل آخر، ومهاجمة كل مختلف؟؟ وأي شاعر هذا الذي يتملق مشاعر الجموع المجهلة بتبني الغيبيات التي تعتنقها ، ويزودها بما يعزز غيبوبة العقل؟؟ نتمنى ان تكون حالة غياب الوعي حالة مؤقتة من نتاج فوضى الأحداث وصراع البقاء بين الطوائف وتناحر القوى والاستقطابات المتفاقمة ، وهناك كتاب من طراز آخر يفصحون عن فكر متقدم ويزاولون نقدا اجتماعيا يبدو متوافقا مع النظرة العقلانية المستندة إلى أحكام العقل والحداثة و هم يمارسون الخرافة سلوكا وتعاطيا بين أهلهم وعشيرتهم ، ما جدوى خطاب الحداثة والتغيير إن لم يكن فاعلا ومؤثرا في أقرب الناس إلينا ..؟؟ علام النفاق في قبول الغيبيات أمام الأقربين والتظاهر برفضها أمام مجتمع المثقفين وعلى صفحات الصحف ؟؟